

## هل أنا سنية أم شيعية زهير قوطرش

قصة حدثت معي: (هل أنا سنية، أم شيعية)

أنضايق جداً من عادة التسوق في السوبر ماركت ، وخاصة إذا كنت برفقة زوجتي . فسبحان الله الذي وضع في خلایا المرأة حب التسوق والشراء أو التجوال في محلات بيع الملابس وغيرها . وحتى أنتهي من هذه المشكلة التي تقلقني دائماً ، عقدت إتفاقاً مع زوجتي الغالية يتضمن بندين فقط . الاول: أن لا أظهر امتعاضي وعدم رغبتني في الذهاب الى أي سوبر ماركت وأن أرافقها دائماً . الشرط الثاني : مقابل ذلك تم السماح لي أن استغل الوقت الطويل الضائع في عملية الشراء بالجلوس الى المقهى واستغلال الزمن الثمين والذي يتكرر باستمرار في الكتابة أو قراءة الصحف العالمية والمحلية . وتم التوقيع على ذلك شفهيًا بشهادة الاولاد . وصدقاً أنزاحت عن قلبي صخرة كبيرة . وهكذا أصبحت تسير الامور على ما كنت اتمناه ، وقيل أيام وبعد الانتهاء من العمل توجهنا مباشرة الى المزار المذكور لشراء بعض الحاجيات . وفور الوصول الى مدخل السوبر ماركت بدأت بتنفيذ بنود الاتفاقية ودعتُ زوجتي واتجهت الى مقهى باريز الهادئ كي أقضى هذه الفترة التي صرتُ اتمنى أن تطول قليلاً . مقهى باريز من اجمل المقاهي في هذا المجمع الضخم ، يمتاز بجدرانه ذات الالوان الدافئة وفرشه المتواضع الانيق ، تحيطه من الداخل زهور الصالونات الجميلة والملونة، تفوح من المقهى رائحة البن المميزة التي ما أن يستنشقتها الانسان حتى تسري في عروقه نشوة ورغبة تدفعه لاحتساؤها والتلذذ بطعمها ونكهتها . ولشرب القهوة عندي طقوس تعودت عليها منذ أن بدأت في القراءة والكتابة . وفنجان القهوة له ايضاً سحره الخاص لذلك فأني استغرق الوقت الطويل في شربه ببطئ ، وتنتابني حالات وجدانية اتمنى فيها لو أنني كلما شربت منها شفة أن تعود وتمتلئ من جديد .

توجهت الى الزاوية اليمينية في الركن المقابل لأجمل مجموعة من الزهور . واحببت أن أكون بعيدا حتى لا أسمع حديث الناس، لأنني أصبحت أكره في الفترة الأخيرة الثرثرة عن الموضة والتنزيلات وأنواع البضائع و صرتُ اشعر أن الناس أشركوا بالله والعياذ به، و بدأوا يعبدوا الهاً جديداً اسمه الاستهلاك ولهذا الأله نبي مرسل اسمه الدعاية التي تحاصرني أينما كنت . وبالفعل سيطرت الوثنية الاستهلاكية على كل نواحي الحياة العادية وشغلت الناس في كثير من الاحيان حتى عن عبادة الله عز وجل . وما ان جلست وطلبت قهوتي المفضلة وشرعت اتصفح عناوين الصحف على أمل أن أجد موضوعاً جيداً من حيث المضمون كي أقضي بقراءته وقتاً ممتعاً ومفيداً . وأنا في هذه الحالة ، وإذ بأخت مسلمة اوربية الأصل اعتنقت الاسلام حديثاً، ما أن رأيتني حتى توجهت اليّ . أعرفها حيث تتردد على المحاضرات التي تقيمها جمعية اصدقاء الثقافة الاسلامية في مدينتنا . وطبعاً لفتت اليها الانظار كونها محتشمة ومحجبة . وبلكنة عربية ادت التحية بقولها السلام عليك يا أخ زهير . رددت، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .تفضلني يا أخت علي اساعدك بشيء ما . شكرتني واعتذرت كونها قطعت عليّ خلوتي وبدون مقدمات سألتني هل بإمكانك أن تجيبي على سؤالي؟ تفضلني يا أختي وبصوت فيه بحة وتردد قالت لي اعتنقت الاسلام وأمنت بالله وحده لا شريك له وأن محمداً رسول الله . اقيم الصلاة وأفعل الخير ، ولكني لا أعرف هل أنا سنية أم شيعية؟ تجمدت الدماء في عروقي، وشعرت وكأني أنا المسؤول عن كل هذه التفاهات المذهبية . تفاجأت! لأنني تعودت على اسئلة حول الزواج والطلاق والعبادات وحول فلسفة العقيدة والتوحيد الخ . صدقوني تمنيت لو انني كنت أنا وهذه الأخت في هذه اللحظة بحضرة آية الله السيستاني ورئيس هيئة علماء المسلمين السنة في العراق، ليحملوا عني وزر هذه الاجابة على سؤال الاخت . ولكن فوضولياً كيف ستكون إجابتهم . وكالعادة في هذه المواقف وغيرها أطلب العون من خالق العباد ومصرف شؤونهم في أن يساعديني كي تكون إجابتي بمحتواها ترضي الله عز وجل وتقع السائل أو السائلة .(وعلى الله فليتوكل المؤمنون) وكالعادة تتشكل الافكار في مخيلتي لتتحول الى كلمات وجمل ، استغرب في الكثير من الاحيان من اين لي هذه الفصاحة . وجرى هذا الحوار بيني وبينها:

يا أختي ما الذي دعاك أن تسألني هذا السؤال؟

- بعد أحداث تفجير العتبات المقدسة كفعل وردة الفعل العنيفة بتدمير مساجد السنة، والقتل العشوائي من كلا

الطرفين، في اليوم التالي للاحداث ذهبت الى العمل وقبل أن أحي صديقتي سألتني إحداهن هل أنت سنية أم شيعية؟ وفعلاً لأدري أين أنا!

- هل سألت أحداً من الأخوة أو الأخوات؟

- نعم سألت الاخت عائشة زوجها شيعي قالت لي أن زوجها أعلمها أن السنة ليسوا على الطريق الصحيح وهم بالنار، وسألت الاخت نوال زوجها سني قالت أن زوجها أخبرها بأن الشيعة كفره وهم بالنار.

- صمتُ قليلاً، وقلت في نفسي يارب هل أعطيتَ الحق لأحد من الناس في أن يكفر ويرمي بالنار كما يشاء؟ - ياأختي قبل أن تعتني الاسلام ماذا كنت؟ أجابتنى مسيحية

-أعرف ذلك لكن سؤالي! و فوراً أجابت كنت كاتوليكية ،حسناً وهل تعتقدان أن المسيح عليه السلام كان كاتولوكياً أو شرقياً أو بروتستانت. اجابة لأدري ، يأخت المسيح لم يكن سوى رسولاً ونبياً مسلماً الى الله جاء بالتوحيد الخالص .وكذلك النبي محمد(ص) لم يكن لاسنياً ولا شيعياً كان نبياً ورسولاً موحداً مثله مثل كل الانبياء والرسل جاؤا بدين واحد وعقيدة واحدة وشرعة مختلفة وهذه لاتلغي أساس العقيدة. لذلك ارجوك أن تكوني مسلمة الى الله وأن تخلصي اليه وتعبديه وتأمرين بالمعروف وتنهين عن المنكر وتواظبي على الصلاة وتدفعي الزكاة وتمارسي مرة على الاقل الحج إن استطعتالي ذلك سبيلاً، وتخلصي في عمك الدنيوي وتحلين بكمارم الاخلاق وهذا هو الدين الصحيح وذكرت لها الاية الكريمة ( ومن أحسن قولاً ممن دعا الى الله ،وعمل صالحاً وقالى أنني من المسلمين) ولم يقل إني من الشيعة أو السنة. شكرتني وودعتني بالسلام وكلي أمل ورجاء من الله تعالى أن يمنحها قوة الايمان وصلاح العقيدة.اوربا ليست بحاجة الى الخلافات المذهبية ، والمسلمين الجدد في اوربا هم كالمسلمين الاوائل ، جذبتهم الى الاسلام عقيدة التوحيد ، منظومة الاخلاق يمتلكونها من خلال تربيتهم حتى المسيحية أو غيرها.لماذا نريد اقحامهم في كل تناقضاتنا وصراعنا المذهبي. أحد الدعاة من فينا جاء ليحاضر عن المصارف الاسلامية لغير المسلمين في الجامعة الامريكية في براتسلافا عاصمة سلوفاكيا بعد المحاضرة سأله أحدهم: ما الفرق بين السنة والشيعة؟ و فوراً بدأ الاجابة نحن السنة نكفرهم في مئة وخمسين مسألة شرعية.وأراد أن يعددها ، رفعت يدي واستأذنت الحضور كي أتكلم بالعربية وقلت له سامحك الله يا أخي ماذا ستفيد من هذه الاجابة؟ ارجوك لاتنشر غسيلنا الوسخ بدون مبرر. امتعض مني لأن الحقد من الطرفين قد تغلغل فيهم وزين لهم الشيطان أعمالهم.أني احب الاتقياء من السنة والشيعة،وأحب الوفاق بين الفرقتين المسلمتين وأجل من يدعوا اليه،وأكره الشقاق بينهما وأبغض من يسعى اليه.وأضع الحقائق فوق الاهواء ولو شاء الله لما اختلفنا وما أنقسمنا ولكن لله حكمة ولنا في الارض اختبار. مأجمل أن نكف عن تدريس المواد المثيرة للخلاف والشقاق ونكف عن الترويج لها في وسائل الاعلام وفي المجالس والمنتديات والبيوت والاحزاب . الاختلاف لن ينتهي وهذا دليل حيوية الامة وفعاليتها واحترامها لحرية التعبير والتفكير لرعاياها. وعلينا الاتفاق على الاساسيات التي تجمع شتات الامة.ونعود الى الاسلام وعقيدة التوحيد والى كتاب الله الذي يجمعنا ، هويتنا الوحيدة أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ،نصدق كل الانبياء والرسل ولا نفرق بين أحد منهم. و نقيم اركان الدين. الاسلام هو الخيمة التي يستظل بها المسلم وغير المسلم من رعايا الدولة فينال كل مواطن حقوقه كاملة غير منقوصة. ويتمتع بالعزة والكرامة المكفولة للجميع . أقسم بالله أن اعداء الاسلام مادخلوا خيمة الاسلام لهدمها إلا من وراء المذهبية والطائفية التي تفرق الامة(العراق مثلاً).

مع كل أسف جاءت زوجتي الغالية ومعها كالعادة اكياس النايلون ذات الالوان البهية وفيها الملابس حيث بادرنتي: تصور اسعار رائعة ورخيصة.قلت في نفسي وثنية الاستهلاك شئت أم ابيت هي بيتي ايضاً.فلاحول ولا قوة إلا بالله.